إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد التاسع – ربيع ١٣٩٢ش/ آذار ٢٠١٣م
صص ٢١٠ ـ ١٩١

دراسة الطابع القصصى فى رسالة الغفران

هومن ناظميان*

الملخص

تعتبر رسالة الغفران من أقدم نماذج التراث القصصى العربى التى طالما ظلمها النقاد القدامى وكانت شبه منسية حتى أوائل القرن العشرين، لأن كثيرا من الأدباء والنقاد اتهموا أبا العلاء المعرفى دينه وبالاستخفاف بالمعتقدات الإسلامية فى هذه الرسالة وتنقصوا من قيمتها حيث أدى إلى عدم اكتراث الدارسين بها لمدة زهاء تسعمائة سنة. انتبه النقاد العرب إلى أهميتها منذ اهتمام المستشرقين بها والمقارنة بينها وبين الكوميديا الإلهية لدانتى. تهدف هذه المقالة إلى دراسة الجانب القصصى لهذه الرسالة على علم بأن رسالة الغفران ليست القصة بالمعنى الذى نفهمه اليوم ولكنها تتمتع بميزات قصصية جديرة بالاهتمام ونهدف إلى استكناهها فى هذا المجال ولهذا ندرس الطابع القصصى فيها عبر بنيتين: البنية القصصية والبنية الفكرية والعقائدية. البنية القصصية فى رسالة الغفران تتكون من سبعة أجزاء: السرد، والحبكة، والحدث، والبطل، والحوار، والزمان والمكان. تتمحور البنية العقائدية حول شفاعة أهل البيت(ع) والتوسل بهم للتخلص من أهوال الحشر والسخرية من صناعة الشعر والأدب التى لاتنفع فى الآخرة إلا إذا كانت فى سبيل الله.

الكلمات الدليلية: أبوالعلاء المعرى، رسالة الغفران، البنية القصصية، البنية العقائدية.

*. أستاذ مساعد فى جامعة خوارزمى، طهران، إيران. Houmannazemyan@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٣/٢٧ش تاريخ القبول: ١٣٩٢/٤/١٢

Archive of SID
www.SID.ir

المقدمة

تعتبر رسالة الغفران من أشهر ما بقى من التراث العربى فى العصر العباسى وهذه الشهرة مدينة لاهتمام المستشرقين والنقاد الأروبيين بهذه الرسالة ودراساتهم حولها والمقارنة بينها وبين الكوميديا الإلهية لدانتى خاصة عندما هزّ العالم الأدبى فى أروبا مستشرق أسبانى اسمه (القس ميجويل أسين بلاثيوس) بنظريته القائلة بأن دانتى اقتبس كوميدياه الإلهية من أصول عربية فى مقدمتها قصة المعراج ورسالة الغفران. أحدثت هذه النظرية دويا فى الغرب ووصل صداه إلى الشرق العربى ومن ثم انتبه الدراسون العرب إلى رسالة الغفران بعد زهاء تسعمائة سنة. (بنت الشاطئ، ١٩٨٣م: ٩)

يرجع سبب إهمال النقاد القدامى لهذه الرسالة إلى الاتهامات التى وجهها أعداء أبى العلاء وحساده إليه خاصة بعد كتابة الرسالة؛ حيث ادعى بعض أنه سخر من المعتقدات الإسلامية فيما يتعلق بالحياة الآخرة والجنة والجحيم وادعى بعض آخر أنه دافع عن الشعراء الزنادقة وبرّرهم وتحدث عن المغفرة لهم وأخذ عليه فريق آخر حكمه على مصاير الشعراء فى الآخرة موزعين بين الجنة والنار ووصفوا قصة الرسالة بأنها قصة جريئة خلط فيها الجد بالهزل. أدت العداوة والبغضاء إلى أنهم كانوا يعتقدون بأن لعن أبى العلاء المعرى للزنادقة كانت من قبيل الكيد والرئاء وأنه كان بنفسه زنديقا وملحدا. (بنت الشاطئ، ١٩٨٣م: ٦٩-٦٧)

وفى القرن التاسع عشر بدأ اسم رسالة الغفران يتردد فى الأوساط الأدبية الأوروبية مقترنا باسم الكوميديا الإلهية لدانتى على سبيل لمح شبه بينهما أولا ثم على سبيل المقارنة المنتهية إلى أن دانتى متأثرا بأبى العلاء وأول من عرّف هذه الرسالة المستشرق الإنكليزى نيكلسون فى المجلة الأسيوية الملكية يوليو ١٨٩٩م وكان النص الذى نشره نيكلسون سنة ١٩٠٢م، النص الذى اعتمد عليه فى دراسته، المستشرق الإسبانى القس "ميجويل أسين بلاسيوس" الذى نشرها فى مدريد سنة ١٩١٩م وقرر «أن أصولا إسلامية من بينها رسالة الغفران، قد كوّن أسس الكوميديا الإلهية.» وأحدثت الدراسة دويا فى الأوساط الأوروبية وأخذت رسالة الغفران من ذلك الحين مكانها فى دراسات النقاد العرب.» (بنت الشاطئ، ١٩٦٥م: ٤٢٣ و ٤٢٤)

Archive of SID

www.SID.ir

وهكذا نرى أن أبا العلاء المعرى تعرض لتهمة الزندقة والإلحاد لأنه تجرأ على تخيل الحيـاة الآخرة وكان أول من كتب فی الأدب العـربی رحلة خيالية إلى الجنة والجحيم تصور فيها مصير بعض الشـعراء واللغويين فی الجنة والنار. فلم يهتم بالرسالة كثير من النقاد والدراسـين العرب خلال القرون السالفة لأن صاحبها كان متهما فی دينه فی رأی البعض. تشـير بنت الشـاطئ إلى نقطة لطيفة تبين لنا البون الشاسـع بين كيفية اهتمام النقاد والدارسـين الأروبيين بآثارهم الأدبية المتخيلة و بين ردود فعل النقاد والدراسين فی العالم الإسلامی والعربی فی القرون السالفة إزاء مثل هذه الآثار: «إن كوميديا دانتی علـى ما فی إسمهـا من جفوة قد تجرح الحس المؤمن قد باركها رجال الدين المسـيحی وترنم بها القسـس والرهبان ورآها بعض النقاد المسـيحيين شعرا تعليميا أخلاقيا يطلع الإنسـان على الآثار البشـعة للخطيئة ويرشـده إلى خير الدنيا والآخرة. فما بالهم قد اتهموا رسـالة الغفران وما دخل جنتها شاعر إلا سئل بم غفر له ومن هنا أخذت اسمها وفرق بعيد بين أن تحمل الرحلة الوجدانية إلى العالم الآخر اسم رسالة الغفران وبين أن تحمل اسم الكوميديا الإلهية.» (بنت الشاطئ، ۱۹۸۳م: ۷۷)

الدراسات السابقة

رغـم أن أبـا العلاء المعرى حظی بعناية الدارسـين فی العالم العـربی، غير أن معظم هذه الدراسـات تتمحور حول أفكاره، وفلسفته، وتشـاؤمه، وقدراته اللغوية والأدبية أو أسـلوب نثره وقلما نجد دراسة أو بحثا علميا أو جامعيا تركز على الجانب القصصی لرسالة الغفران. وجدنا بعض مقالات اهتمت بهذا الجانب مثلا:

۱. بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، جديد فی رسالة الغفران، بيروت: دارالكتاب العربی.

۲. محبـک، أحمد زيـات، (۱٤۲۰ق)، «تجليات المكان فی رسـالة الغفران»، التراث العربی، العدد ۷۸.

۳. الروبی، ألفت كمال، (۱۹۹٤م)، «تحول الرسـالة وبزوغ شـكل قصصی فی رسالة الغفران»، الفصول، العدد ۵۱.

٤. العجمی، مرسل فالح، (۱۹۹۷م)، «بطولة ابن القارح فی رسالة الغفران»، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة عشرة.

www.SID.ir

وعلى صعيد البحوث العلمية فى بلادنا قلما اهتم الدارسون الجامعيون إلى أبى العلاء المعرى ويمكن أن نشير إلى هذه النماذج:

١. خزعلى، إنسيه، (١٤٢٧ق) «الخيام والمعرى بين التشاؤم والتفاؤل»، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٣.

٢. نيازى، شهريار وحسين گلى، (١٣٩٠ش) «أثر أبوالعلاء المعرى فى الشعر العربى المعاصر»، ادب عربى، سال سوم، شماره ١.

٣. محمدى، گردآفرين وجليل نظرى، «مقايسه نگاه ارداويراف نامه ورسالة الغفران در دنياى پس از مرگ»، ادبيات تطبيقى، سال دوم، شماره ٨.

وجدير بالذكر أن هذه الدراسات لم تفرد للقصة وعناصرها فى رسالة الغفران اهتماما خاصا ولم تدرس الطابع القصصى فيها دراسة بنيوية كما فعلنا فى هذا المجال بل درست بعض جوانب للقصة فيها أو درست بصورة كلية.

رسالة الغفران

انقسمت الكتابة النثرية فى العصور الوسطى إلى قسمين كبيرين: كتابة رسمية يقوم بها الكتاب الرسميون الموظفون والقسم الثانى الكتّاب الأدباء كما أن مصطلح الرسالة كانت تستخدم أحيانا على بعض الرسائل ذات الشكل القصصى ومما يجدر الإنتباه، وجود نوع من التلازم بين الرسالة والقصة قبل ظهور رسالة الغفران أو رسالة التوابع والزوابع. (الروبى، ١٩٩٤م: ٧٢)

أملى المعرى رسالة الغفران بمعرة النعمان حوالى سنة ٤٢٤ ردا على رسالة تلقاها من أديب حلبى كان يدعى ابن القارح على بن منصور الحلبى ومن ثم تأخذ رسالة الغفران صورة رسالة إخوانية من الرسائل الطوال التى تجرى مجرى الكتب المصنفة لكنها تستهل بمقدمة غير مألوفة، يستطرد فيها المعرى إلى رحلة خيالية فى العالم الآخر ويسوق إليها إبن القارح ويوجهه نحو الجنة والنار. كتب أبوالعلاء هذه الرسالة فى ظروف نفسية كئيبة حيث أملاها بعد فشله فى معركته مع الدنيا وانطوى على نفسه محزونا يلتمس راحة اليأس. (بنت الشاطئ، ١٩٨٣م: ٤٧و٤٨)

Archive of SID

www.SID.ir

وانصرف المعـری فی معظم کتاباته إلی القضایا اللغویة والأدبیة بحیث انصرف معنی الرسـالة إلی معنی علمی فإنه کان یمیل إلی القصة. (الروبی، ۱۹۹٤م: ۷۲) تنقسم رسالة الغفران إلی قسمین: القسم الأول ذو الطبع القصصی الذی نهمنا فی هذا المجال والقسم الثانی هو أجوبة أبی العلاء إلی الأسئلة التی طرحها ابن القارح ویمکن إعتبارها رسالة إخوانیة مطولة تجری مجری الکتب المصنفة، تبدو فی هذا القسم شخصیة أبی العلاء العالم اللغوی والناقد الأدبی والاجتماعی لعصره. (بنت الشاطئ، ۱۹٦۵م: ٤۳٤)

الطابع القصصی فی رسالة الغفران

وقبـل أن نتطـرق إلی صلب الموضوع یجب أن ننبه إلی نقطـة وهی أننا لا ندعی أن رسالة الغفران قصة بالمعنی الذی نفهمها الیوم؛ لأن القصة فی رسالة الغفران وسیلة لطرح الآراء الأدبیة والنقدیة لأبی العلاء علی لسان ابن القارح فی حواره ونقاشه مع الشعراء فی الجنـة والجحیم حول قضایا أدبیة ونقدیة. لکن هذه الرسـالة تتمتع بمیزات قصصیة جدیرة بالإهتمام والتی ندرسـها فی هذا المجال. بإمکاننا أن نقسـم الطابع القصصی فی الرسـالة إلی بنیتین: أولا البنیة القصصیة وهی تتکون من معظم عناصر القصة کالسـرد، والحبکة، والبطل، والحوار، والزمان والمکان وثانیا البنیة الفکریة والعقائدیة.

البنیة القصصیة

خلاصة القصة

بإمکاننا أن نقسم قصة الغفران إلی أربعة أجزاء: فی الجزء الأول یأتی المعری بمقدمة حـول أنواع مظاهر الجمـال واللذة فی الجنة ویذکر أسماء مـن اللغویین والنحاة الذین دخلـوا الجنة ولم یبق بینهم شـئ من الخصومـات والأحقاد التی کانـت فی قلوبهم فی الدنیـا حول قضایا نحویه وأدبیة و لغویة. وفی الجزء الثانی یدور الحوار بین ابن القارح وبعض الشعراء الذین غفر لهم ودخلوا الجنة. وفی الجزء الثالث یدخل ابن القارح جنة العفاریت ویتحدث إلی أدبائهم و یسألهم عن بعض قضایا أدبیة وفی الجزء الرابع یدخل الجحیـم حـتی یتکلم مع الأدبـاء المعذبین فی النار وفی الجزء الأخـیر یرجع إلی الجنة ویواصل جولته ویستمتع بلذاتها حتی یشعر بالتعب ویخلد إلی الإستراحة.

Archive of SID

www.SID.ir

السرد

السـرد أو العرض القصصى عبارة عن طريق يخاطب به القاص القراء أو السامعين ويروى لهم قصته وله أهمية بالغة فى هيكل القصة. يسـتطيع الكاتب أن يسـتعين بطرق مختلفة لرواية قصته؛ فإما أن يروى القصة من داخلها أو من خارجها على لسـان أحد الشـخصيات الأصلية أو الفرعية أو على لسـان شاهد لم يشـارك نفسه فى الأحداث وإما أن يرويها مباشـرة ويمكن أن يكون القاص البطل الرئيسـى للقصة أيضا أو يضع نفسـه ضمن الشـخصيات الفرعية وهذا الطريق يساعده فى أن يشـرح للقارئ أفكار الشـخصيات وأحاسيسـهم. (ايرانى، ١٣٦٤ش: ١٥٥-١٣٧؛ نجم، ١٩٧٩م: ٧٧ و٧٨) وفى رأى النقـاد رواية القصة على لسـان بطل خاض أحـداث القصة من أقوى أنواع العرض القصصى لأن هذا الراوى بمثابة شـاهد أمين بإمكانه أن ينقل لنا حقائق القصة. (فـرزاد، ١٣٨١ش: ١٤٦) وهذه الطريقة اسـتغلها المعرى حيـث روى أحداث القصة بعض الأحيان على لسان ابن القارح الذى شارك أحداثها. فى السرد الخارجى يتنحى السـارد جانبا ويقود الشـخصيات إلى الحديث عما يريده وفق مفهوم الرواية المتعددة الأصوات مما يتيح له المجال إلى الوصف المطول ليقول ما يشاء على لسان أى شخصية أو فى إطـار الوصف – الحوار. (جمعة، ١٤٢٤ق: ٢٧) ونواجه السـرد بنوعيها الداخلى والخارجى فى رسـالة الغفران؛ حيث السـارد الداخلى ظهر فى شخصية ابن القارح مما جعل ضمير المتكلم أو الغائب يظهر كثيرا على لسـانه والسارد الخارجى يمثله أبوالعلاء وأنه يتولى عملية الشرح والوصف. (المصدر نفسه: ٢٩) وهذه الطريقة تمكن المعرى من التصريف ببطل قصته كما يشاء و أن يشرح ما يريد من الآراء والمعتقدات على لسانه.

والعرض فى رسـالة الغفران يعتمد أساسـا على الحركة والحوار وكثيرا ما تصحبه موسيقا تصويرية من الشعر المعبر عن المشهد المشخص أو الممهد له؛ فمشهد الصيد مثلا يبدأ بإنشـاد قصيدة لعدى بن زيد فى رحلة صيد يعقبها انطلاق عدى وابن القارح على نجيبين من نجب الجنة إلى حيث تبدو لهما خيطان النعام وأسراب الظباء. (بنت الشاطئ، ١٩٦٥م: ٤٣٣ و ٤٣٤)

الحبكة

تطلق اللفظة على إطار القصة أو سلسلة العلل والأسباب التى تربط الأحداث وتنسقها

www.SID.ir

تنسیقا منطقیا حیث تحدث کل حادثة بشکل منطقی لأن تکون نتیجة لما حدث قبلها و تسبب لحادثة التی تحدث بعدها. (میرصادقی، ۱۳۸۰ش: ۸۰-٦۱) وبعبارة أخری الحبکة هی الخریطة أو إطار الأحداث الذی یبین سبب وقوعها وتنقسم إلی أنواع منها: الحبکة المفککة والحبکة المتماسکة. وفی النوع الأول لاتعتمد العمل القصصی علی تسلسل الأحداث ولکن علی البئیة أو الشخصیة الأولی والنوع الثانی تقوم علی حوادث مترابطة تسیر فی خط مستقیم حتی تبلغ مستقرها. (نجم، ۱۹۷۹م: ۷۳ و ۷٤) وأما من جانب آخر، فتنقسم إلی البسیطة و المرکبة؛ الحبکة البسیطة تبنی علی حکایة واحدة والحبکة المرکبة مبنیة علی حکایتین أو أکثر. (المصدر نفسه: ۷۵ و ۷٦) والحبکة فی رسالة الغفران بسیطة لأنه تعتمد علی حکایة واحدة وهی تجول إبن القارح فی الجنة والجحیم والحبکة فیها متماسکة لأنها تقوم علی حوادث مترابطة تسیر فی مسیر حتی تبلغ نهایتها وغایتها. تتکون الحبکة فی رسالة الغفران من خمسة عناصر: ۱- العقدة الفنیة ۲- الصراع ۳- التعلیق أو المماطلة ٤- الأزمة ۵-حل العقدة ندرسها فی رسالة الغفران.

العقدة الفنیة

وهی عبارة عن مشکلة أو ظروف صعبة تطرأ فجأة وتجعل البطل أو الأبطال فی موقع حرج وهذه الظروف تدفعهم إلی بذل الجهود لحل المشکلة والتخلص منها. (میرصادقی، ۱۳۸۰ش: ۷۲) العقدة فی رسالة الغفران بسیطة ولیست معقدة غالبا. بإمکاننا أن نقسم العقدة فیها إلی نوعین: العقدة الرئیسیة وهی تتجلی فی السؤال الرئیسی الذی شغل بال ابن القارح حول سبب غفران بعض الشعراء وإن کانوا یعیشون فی الجاهلیة. والنوع الثانی العقدة الفرعیة وهی تتمثل فی موقع حرج وقع فیه ابن القارح عندما فقد وثیقة توبته فی المحشر وکان یحاول أن یدخل الجنة و لقی صعابا کثیرة. «لمّا نَهضتُ أنتَفِضُ مِن الرَیم وحَضَرتُ حَرَصاتِ القَیامة... فَطالَ عَلی الأمَدُ، واشتّدَ الظَمأ و الوَمَد... وأنا رجُل مِهیاف أی سریع العطش ... ولقینی المَلَک الحَفیظ مما زبرَ لی من فعل الخیر فوجدتُ حسناتی قلیلة کالنُفَأ فی العام الأرمل والنفأ الریاض والأرمل قلیل المطر إلا أن التوبة فی آخرها کأنها مصباح أبیل رُفِع لسالک سبیل. فلما وَقفتُ فی المَوقِف زهاء شهر أو شهرین وخِفتُ فی العرَق من الغرق، زَینت لی النفس الکاذبة أن أنظم أبیاتا فی

www.SID.ir

رضوان خازن الجنان...» (المعرى، ۱۹۹۳م: ۲٤۹)

ويحاول ابن القارح أن يمدح "رضوان" ملک الجنة بقصائد كما هو عادة الشعراء فی الدنيا لدى استعطاف الممدوح واستغاثته ولكن لا يعتنی به "رضوان" ولا يولی لمدائحه وزنا لأنه لايعرف الشعر و لايهمه وابن القارح لايزال يلتمسه العون والعناية: «أنا رجل لاصبر لی علی اللُواب- أی العطش- وقد استطلتُ مدة الحساب ومعی صک بالتوبة وهی للذنوب كلها ماحية وقد مدحتُک بأشعار كثيرة ... وأنا ضعيف مَنين ولاريب أنی ممن يرجو المغفرة وتَصحّ له بمشيئة الله تعالی، فقال: إنک لغبين الرأی، أتأمل أن آذن لک بغير إذنٍ من رَب العزّة ؟ هيهات هيهات.» (المصدر نفسه: ۲۵۰ و ۲۵۱) وهكذا يخيب ابن القارح من استرضاء "رضوان" بإنشاد قصائد، فيبذل قصارى جهوده لاستعطاف ملک آخر يدعی "زُفَر" ولكن دون جدوی.

الصراع

يعنی التضاد والمجابهة التی تنشأ بين البطل والعراقيل التی تحول دونه وله أنواع مختلفة حسب المتصارعين كالصراع بين البطل والعوامل الداخلية مثلا بينه وبين أفكاره، ومعتقداته، وأحاسيسه وعواطفه أو بين البطل والعوامل الخارجية من الظروف البيئية والاجتماعية والثقافية. (ميرصادقی، ۱۳۸۰ش: ۷۳) فی رسالة الغفران نری الصراع بين ابن القارح وبعض خزنة الجنة بغية دخول الجنة دون إذن الله تعالی، والصراع بين بعض الشعراء حول قضايا أدبية، لغوية ونحوية. يمكن الإشارة إلی منافرة بين نابغة الجعدی والأعشی حيث تشاجرا وتفاحشا فی الجنة!! «و يقول نابغة بنی جعدة وهو جالس يستمع: يا أبابصير أ هذه الرباب التی ذكرها السعدی هی ربابُک التی ذكرتها فی قولک؟... فيقول أبو بصير قد طال عمرک يا أباليلی وأحسبک أصابک الفَنَد فبقيتَ علی فَنَدک إلی اليوم، أما علمتَ أن اللواتی يسمّينَ بِالرَباب أكثر من أن يحصَين... فيقول "نابغة بنی جعدة" أتكلّمنی بِمثل هذا الكلام يا خليع بنی ضُبَيعة وقد مُتَ كافرا وأقررتَ علی نفسک بالفاحِشة وأنا لقيتُ النبی (ص)... فقال إلی أين يا أبا ليلی؟... أغرّک أن عدّک بعض الجهال رابع الشعراء الأربعة ... وإنی لأطول منک نفسا وأكثر تصرفا... فيغضب "أبو بصير" فيقول أتقول هذا وإن بيتا مما بنيتُ ليعدل بمائة من بنائک... فيقول

www.SID.ir

"الجعدی" أُسکت یا ضُلَّ بنَ ضُلّ فأُقسم أن دخولک الجنة من المنکرات..» (المعری، ۱۹۹۳م: ۲۳۰-۲۲۷) فتشتد الأزمة بینهما حیث تجاوز الإفحاش والإقذاع إلی الضرب و الشتم: «ویثِب "نابغة بنی جعدة" علی "أبی بصیر" فیضربه بکُوز من ذَهَب...» (المصدر نفسه:۲۳۱) ویضطر ابن القارح أن یتدخل ویتوسط حتی یحل المشکلة ویصلح مافی بینهما. ونموذج آخر عراک أبی بین بعض الشعراء وأبی علی الفارسی فی المحشر حول قضایا نحویة وکیفیة روایة أشعارهم. (المصدر نفسه: ۲۵٤و۲۵۵)

التعلیق والمماطلة

تظهر فی القصة عندما یطول الصراع بین البطل والعوامل المضادة حیث یقف القارئ أو الطامع إلی جانب أبطال القصة ویتبع الأحداث ویزداد رغبة فی معرفة النهایة ومصیر الأبطال وهو عنصر هام من عناصر التشویق. (پراین، ۱۳٦۸ش: ٤۳-۳۱؛ یونسی، ۱۳۷۹ش: ٤٦۸ و ٤٦۹) إذن التعلیق نتیجة الصراع، یبدو أن أروع مثال للتعلیق فی رسالة الغفران یظهر عندما یحاول ابن القارح أن یتوسل بأولیاء الله للدخول فی الجنة بعد خیبة أمله عند "رضوان" و "زُفَر": «فَبِئستُ مما عنده فجعلتُ أتخلّلُ العالَم فإذا أنا برِجُلٍ علیه نورٌ یتلألأ وحوالیه رجال تأتَلِق منهم أنوار فقلتُ مَن هذا الرجل؟ فقیل: هذا"حمزة عبدالمطلب" صریع "وحشی" وهولاء الذین حوله من استشهد من المسلمین فی "أحد" فقلتُ لنفسی الکذوب: الشعر عند هذا أنفق منه عند خازن الجنان لأنه شاعر و إخوتُه شعراء وکذلک أبوه وجَدُّه ... فعَمِلتُ أبیاتا علی وجه أبیات "کعب بن مالک" التی رثی بها "حمزة" ... فنادیتُ یا سید الشهداء! یا عمّ رسول الله! یا ابن عبدالمطلب! فلمّا أقبل علیه بوجهه أنشدته الأبیات فقال: ویحک! أفی مثل هذا الموطن تجیئنی بالمدیح؟ أما سَمعتَ الآیة Cلِکُلِّ امرِئٍ یومَئِذٍ شَأنٌ یغنِیهB (المعری، ۱۹۹۳م: ۲۵۲ و۲۵۳) ولکن حمزة (ع) لایستطیع إغاثته فیحیله إلی علی ین أبی طالب (ع) «فقال: إنی لاأقدر علی ما تطلب و لکنی اُنفِذُ معک تَورا أی رسولا إلی ابن أخی "علی بن أبی طالب" (ع) لیخاطب النبی (ص) فی أمرک. فَبعثَ معی رجُلا، فلمّا قصّ قصتی علی أمیر المؤمنین (ع) قال: أین بینتک؟ یعنی صحیفة حسناتی (المصدر نفسه: ۲۵٤) لکن ابن القارح فَقد صک توبته فی المحشر فطلب منه الإمام علی (ع) شاهدا علی توبته.

Archive of SID

www.SID.ir

الأزمة

مرحلة حاسمة تتشابک فيها العناصر المضادة ونتيجة هذه الإحتكاكات تسفر عن تغيير جذرى فى مسار القصة ومصير الأبطال ويمكن أن تعدد الأزمات حسب طول الحبكة. (ميرصادقى، ۱۳۸۰ش: ۷٦) نواجه الأزمة عندما فقد ابن القارح صک توبته فى المحشر وعليه أن يأتى بشاهد على توبته: «فقال أمير المؤمنين (ع): لاعليک، ألک شاهد بالتوبة فقلتُ نعم، قاضى حلب و عدولها، فقال: بِمَن يعرَف ذلک الرجل؟ فأقول: بِعبدالمنعم ابن عبدالكريم قاضى "حلب"-حرسها الله- فى أيام "شِبل الدولة" فأقام هاتف يهتف فى الموقف: يا عبدالمنعم بن عبدالكريم ، قاضى حلب فى زمان شبل الدولة، هل معک علم فى توبة على بن منصور ابن طالب الحلبى الأديب؟ فَلَم يجِبه أحد. فأخذنى الهَلَع والقِلّ أى الرعدة ثم هتف الثانية فلم يجبه مجيب فَليح بى عند ذلک- أى صُرعت إلى الأرض.» (المعرى، ۱۹۹۳م: ۲۵٦)

حل العقدة

آخر عناصر الحبكة وهو عبارة عن مرحلة تنحل فيها العقد و الألغاز ويتضح مصير الأبطال سواء كان خيرا أم شرا ويرضى القارئ أو المخاطب باطلاعه عليه. يجئ الحل فى الحقيقة نتيجة لما حدث من قبله و يجب أن يكون نتيجة منطقية لما مضى. (ميرصادقى، ۱۳۸۰ش: ۷۷؛ يونسى، ۱۳۷۹ش: ۲٤۹ و ۲۵۰) الحل هنا بسيطة وسريعة ويظهر عندما يجيب قاضى حلب ويؤكد على أنه شهد توبته «فأجابه قائل يقول نعم قد شهدتُ توبة على بن منصور وذلک بِأَخَرَةٍ من الوقت وَضرت متابَه عندى جماعة من العُدول... فعندها نَهضتُ وقد أخذتُ الرَمق.» (المعرى ، ۱۹۹۳م: ۲۵٦)

لكن الأزمة لا تنتهى بأكملها بل تعود مرة أخرى عند الصراط: «فلمّا خَلصتُ من تلک الطُموش، قيل لى: هذا الصراط فاعبُر عليه، فوجدتُه خاليا لاعَريبَ عنده فَبلَوتُ نَفسى فى العبور فوجدتُنى لا أستَمسِک.» (المصدر نفسه: ۲٦۰) فجاء الحل سريعا عندما ساعدته فاطمة الزهراء (س) «فقالت "الزهراء" صلى الله عليها لجارية من جواريها: يا فلانة أجيزيه، فجعلَت تُمارِسنى وأنا أتساقط عن يمين وشمال.... فتَحمِلُنى وتجوز كالبرق الخاطف.» (المصدر نفسه: ۲٦۱) ومرة أخرى يواجه ابن القارح الأزمة حينما يمنع

Archive of SID

www.SID.ir

"رضوان" من دخوله لأنه لایملک الجواز «فلمّا صرت إلی باب الجنة قال لی "رضوان" : هــل معک من جواز؟ فقلت لا. فقال لاســبیل لک إلی الدخــول إلا به. فَبعلِتُ بالأمر وعلی باب الجنة من داخل شجرة صفصاف. فقلتُ أعطنی ورقة من هذه الصفصافة حتی أرجع إلی الموقف فآخذ علیه جوازا. فقال لا أخرج شــیئا من الجنة إلا بإذنٍ من العَلی الأعلی تقدس وتبارک.» (المصدر نفسه: ۲٦۱ و۲٦۲) والحل أیضا یأتی بسرعة بمساعدة إبراهیم خلیــل الله (ع) «والتفت "إبراهیم" صلی الله علیه فرآنی وقد تخلّفتُ عنه فرجع إلی فجَذبَنی جَذبة خَصّلنی بها فی الجنّة.» (المصدر نفسه: ۲٦۲)

الأبطال

هناک أنواع متعددة من الشــخصیات واقعیة أو خیالیة أو کلاهما، إنسانیة أو حیوانیة أو من جمادات. بعض الشــخصیات ثابتة لاتتغیر طوال القصة وبعض نامیة تتغیر وتتطور حسب الظروف والأحداث. والشخصیات المسطحة لایدخل القاص فی طیاتها ولایعرضها عرضــا معمقا بل عرضا ســطحیا عابــرا ولاتؤثر فیها الحوادث ولاتتغــیر طوال القصة. (غنیمــی هــلال، ۱۹۷۳م: ٥٦٥ و٥٦٦؛ نجــم، ۱۹۷۹م: ۱۰۳ و۱۰٤) ویعتمد الکاتب فی رســم شخصیات قصته إلی طریقتین: الطریقة المباشرة أو التحلیلة والطریقة غیر المباشرة أو التمثیلیة. وفی الطریقة الأولی، یرسم شخصیاته من الخارج یشرح عواطفها، وأفکارها، وأحاسیســها ویعقب علی تصرفاتها وکثیرا ما یعطینا رأیه فیها وفی الطریقة الثانیة ینحّی نفسه جانبا ویسمح للشخصیة أن تکشف بنفسها عن ما فی ضمیرها. (نجم، ۱۹۷۹م: ۹۸)

والبطل الرئیســی فی رســالة الغفران هو ابن القارح وبرز فی الرســالة بصورتین متمیزتــین؛ فی القســم الأول ظهر فی صورة تقــترب إلی صورة البطــل بالمعنی الروائی الحدیــث لأنه البطــل المرکزی الذی تتمرکز حوله کل الشــخصیات والأحداث فی هذا القسم القصصی وإنه منفعل هنا لأن أبا العلاء استخدمه قناعا یعبر به عن آرائه وأفکاره. (العجمی، ۱۹۹۷م: ۲۳) أدخل ابن القارح الجنة مرتین عن طریقین مختلفین؛ المرة الأولی أدخل بســبب رســالته التی بعثها إلی أبی العلاء وأخبرنا أبوالعلاء عن هذا الدخول فی بدایة الرسالة، أما المرة الثانیة فیخبرنا ابن القارح نفسه عندما بعث بعد الموت ویتحدث لنا عن مروره علی الصراط ومعاناته یوم الحشــر ویخبرنا هذه المرة عن توبته فی الدنیا

Archive of SID

www.SID.ir

وأنه أشهد على هذه التوبة جماعة من العدول وهذا تصرف غريب من رجل مسلم يعيش فى بيئة إسلامية. (المصدر نفسه: ٥٩)

يبدأ المعرى رحلة ابن القارح فى الجنة بذكر أسماء عدد من اللغويين والنحاة الذين يعرفّونهم كندامى ابن القارح فى الجنة من أدباء الفردوس: «... وقد اصطفى ندامى من أدباء الفردوس كأخى ثمالة وأخى دوس ويونس بن حبيب الضبى... فهم كما جاء فى الكتاب العزيز: ونَزَعنا ما فى صُدورهم مِن غِلّ إخوانا عَلَى سُرُرٍ مُتقابلين لايمسُّهم فيها نَصَب وما هُم منها بمُخرَجين ... وأبو بِشر عَمرو بن عُثمان سيبويه قد رُخصت سويداء قلبه من الضغن عَلَى عَلِى بنِ حَمزة الكسائى وأصحابه لما فعلوا به فى مجلس البرامكة ...» (المعرى، ١٩٩٣م: ١٦٩ و ١٧٠)

ويمكن تقسيم الأبطال والشخصيات الثانوية فى هذه الرسالة إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

الف- الشخصيات الإنسانية وتشمل أنواعا:

١- أولياء الله فى المحشر والجنة: الرسول الأكرم (ص)، والإمام على (ع)، وفاطمة الزهراء (س)، وحمزة سيد الشهداء (ع)، وآدم أبوالبشر (ع)، وإبراهيم خليل الله (ع).

٢- اللغويون والنحاة فى الجنة: أبوالعباس المبرد، وابن دريد، ويونس بن حبيب، والأخفش الأوسط، وأبوالعباس المعروف بثعلب، ومحمد بن يزيد، وسيبويه، والكسائى ، وأبوعبيدة معمر بن المثنى، والأصمعى.

٣- الشعراء فى الجنة: الأعشى، وزهير بن أبى سلمى، وعبيد بن الأبرص، وعدى بن زيد، وأبوذؤيب الهذلى، والنابغة الذبيانى، والنابغة الجعدى، ولبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت، وتميم بن مقبل العجلانى، وعمرو بن أحمر الباهلى، ومعقل بن ضرار الشماخ، وعبيد بن الحصين، وحُمَيد بن ثور، وجِران العَود النُمَيرى، والحطيئة، والخنساء، وشعراء الرجز: رؤبة، والعجّاج، وأغلبُ بنى عِجل، وأبوالنجم، وحُمَيد الأرقط، وعُذافِر بن أوس، وأبونُخَيلة.

٤- الشعراء فى الجحيم: امرؤالقيس، وبشار بن برد، وعنترة بن شداد، وعلقمة بن عبدة، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حِلّزة، وطرفة بن العبد، وأوس بن حجر، وأبوكبير الهذلى، وعامر بن الحُلَيس، وصخر الغى، والأخطل، والمهلهل، والمرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، والشنفرى، وتأبط شرا.

٥- المُغنّين والمُغنّيات فى الجنة: الغريض، ومعبد، وابن مسجح، وابن سريج، وإبراهيم

www.SID.ir

الموصلی، وإسحاق الموصلی، وبصبص، ودنانیر، وجرادتین.

ب- شعراء الجن: خَیتعُور من بنی شَیصبان.

ه- الحیوانات فی الجنة: الحیة، والذئب، والأسد.

ومن الشخصیات العجیبة فی جنة أبی العلاء، الأسد الذی یفترس حیوانات الجنة وهو یتکلم بإذن الله ویشرح لابن القارح أنه یلتذ بافتراس وحوش الجنة وإنها بعد افتراسها تعود إلی الحیاة لأن الموت والفناء لا وجود لهما فی الجنة وهذا من عجائب رحمة الله علی أهلها «فإذا هو بأسد یفترس من صیران الجنة وحسیلها فلا تکفیه هُنَیدة ولاهِند- أی مائة ومئتان- فیقول فی نفسه: لقد کان الأسد یفترس الشاة العجفاء فیقیم علیها الأیام لایطعم سواها شیئا. فیلهم الله الأسد أن یتکلم – وقد عرف ما فی نفسه- فیقول: یا عبدالله، أَلیس أحدکم فی الجنة تُقدّم له الصَحفة وفیها البَهَط والطریم مع النهیدة فیأکل منها مثل عمر السموات والأرض یلتذ بما أصاب فلا هو مکتفٍ ولا هی فانیة وکذلک أنا مفترس ما شاء الله فلاتأذی الفریسة بظُفر و لا ناب و لکن تجد من اللذة کما أجد بلطف ربها العزیز.» (المعری، ۱۹۹۳م، ۳۰٤ و۳۰۵)

وفی مشهد آخر نری فی جنة أبی العلاء، حیة عالمة بعلم القراءات فی روضة مونقة تلعب فیه الحیات التی یتعجب ابن القارح من تواجدها فی الجنة أشد التعجب وتتحدث الحیة عن الحسن البصری وقراءته: «فتقول حیة أخری: کنتُ أسکن فی دار "الحسن البصری" فیتلو القرآن لیلا فتلّقیتُ منه الکتاب من أوله إلی آخره، فیقول .... کیف سمعتِه یقرأ (فالق الإصباح) فإنه یروَی عنه بفتح الهمزة کأنه جمع صبح وکذلک (بالعشی و الأبکار) کأنه جمع بَکَر... فتقول: لقد سَمعتُه یقرأ هذه القراءة وکنتُ علیها بُرهةً مِن الدهر فلمّا تُوفّی – رحمه الله- انتقلتُ إلی جدار فی دار "أبی عمرو بن العلاء" فسمعته یقرأ فرَغِبتُ عن حروف من قراءة "الحَسَن" کهذین الحرفین وکقوله "الأنجیل" بفتح الهمزة ...» (المصدر نفسه: ۳٦۷ و۳٦۸) وهکذا تتحدث الحیة عن القراءات کعالم لغوی وعن روایة الشعر کأدیب وفی الحقیقة یشرح أبوالعلاء المعری آرائه فی هذا المجال علی لسان حیة فی الجنة. ومن الطریف فی هذا الجزء من رسالة الغفران أن هذه الحیة تدعو ابن القارح إلی المنادمة والمعاشرة وتَعِدُه أنها تتحول بإذن الله إلی مثل أحسن غوانی الجنة لکن ابن القارخ یفضل الهروب من هذه الحیة العجیبة. (المصدر نفسه: ۳۷۰ و۳۷۱)

www.SID.ir

الحوار

يحتل الحوار حيزا كبيرا من القصة فى رسالة الغفران ومعظمه يتمحور حول المناقشات الأدبية واللغوية بين ابن القارح والشعراء فى الجنة أو الجحيم. البطل والحوار متلازمان لأن البطل هو صاحب المبادرة فى بدء الحوار مع من يلقاه وبالقدر الذى يكشف به الحوار عن الزوايا المتعددة للشخصية فإنه يكشف عن وجهات النظر المختلفة؛ ففى أول مشهد قصصى يلتقى البطل باللغويين فى أول مجلس ندامى وفى هذا اللقاء الذى اصطفى فيه البطل من ينادمه من هولاء العلماء يستمع إلى رواية بعضهم للأخبار أو الشعر دون أن يسأل أحدهم عن سبب الغفران كما يفعل عند الحوار مع الشعراء وهذا أمر له دلالته فدخول هولاء أمر مسلم به وهذا الأمر يكسبهم بشكل عام مكانة أعلى من مكانة الشعراء وهذا يكشف بدوره جانبا مهما من جوانب شخصية البطل وهو مقيد بإرث محافظ يشده إلى هولاء اللغويين وهذا الأمر يمهد لتساؤلاته المتتالية حول القضايا اللغوية والنحوية والعروضية المثارة عند اللغوين فى شعر هولاء الشعراء كأنه مخول بمتابعة الشعراء ومواجهتم بأخطائهم التى أخذت عليهم. (الروبى، ١٩٩٤م: ٨٢ و٨٣) وسؤال البطل: لِمَ غُفر لک يكشف عن الجانب السلطوى فالبطل يفرض هيمنتها على أهل الجنة وتعطى نفسه حق السؤال عن سبب دخول الشعراء الجاهليين الذين لم يدركوا الإسلام وعندما يقص البطل قصة دخوله الجنة يكشف لنا جوانب من خصائصه فى الدنيا حيث كان ضعيف النفس، كثير الذنوب، قليل الحسنات، منافقا يتقرب إلى الملوک والرؤساء بمدحه لهم و مع أنه أعلن توبته قبيل موته لم يدخل الجنة إلا بشفاعة أهل البيت (ع) بعد مواجهة صعوبات كثيرة وإنه لم يتخلص من صفاته الدنيوية مثلا يحادول أن يخدع خازن الجنة بإنشاد قصيدة فى مدحه. (المصدر نفسه : ٨٣ و ٨٤)

الزمان

والزمان ليس محددا لأن أحداث القصة تجرى فى عالم الآخرة فمن الطبيعى أن الزمان هنا أطول من الزمان فى الدنيا بكثير، على سبيل المثال يتحدث ابن القارح عن مدة وقوفه فى المحشر هكذا: «وكان مُقامى فى الموقف مُدة ستة أشهر من شهور العاجلة.» (المصدرنفسه: ٢٦٢)

Archive of SID

www.SID.ir

المكان

ينقسم مكان وقوع الأحداث إلى ثلاثة: الجنة والجحيم والمحشر. وتنقسم الجنة إلى جنة الإنس وجنة الجن. وجنة أبی العلاء، جنة بشر عاش أكثر عمره منعزلا حبيسا يجاهد أهواءه، فلم يطق أن يتمثل جنته هادئة تنعم بالسكينة والسلام بل ملأها حركة وضجيجا ورقصا وغناء ونزهة وصيدا وصخبا ويعلو الصوت فيها حتى يصير صياحا وصخبا وتعنف الحركة حتى تصير عربدة ويحتدم الخصام حتى يئول إلى منافرة وعراك وهذه الحركة الحسية لاتكاد تقاس إلى الحركة النفسية العنيفة التی تجيش بها نفوس أهل جنته فهم لايبرأون من حنين وتشوف وانتظار وحذر واشفاق وعتاب وإغراء ونشوة واشتهاء ووغيظ وغضب وتعيير وسخرية وخيبة وقهر ولأنه حرم على نفسه كل متع الدنيا حشد فی جنته كل ما خطر على باله وتمثلته بشريته المحرومة المكبوتة من صنوف المتع الحسية والملاذ المادية وأسرف فی ذلک حتی جاء بهذه المتع مشخصة ممثلة. (بنت الشاطئ، ۱۹٦٥م: ٤۳۲)

لايرى المعری الجنة من وجهة نظر المفتی أو الواعظ الدينی أو المرشد الروحی، بل يراها من وجهة نظر أديب لغوی شاعر يعينی أعمی محروم عن الطعام والشراب والمرأة وبعقل فيلسوف له موقفه الخاص فی الحياة. (محبک، ۱٤۲۰ق: ۱۷) يقيس المعری الجنة بمقاييس الدنيا كأنها مكان من أمكنة الدنيا لها مشارق ومغارب وهی ذات نقاط بعيدة وقريبة وفيها علو وسفول والصفات المكانية كالعلو والسفول لها دلالات قيمية. (محبک، ۱٤۲۰ق: ۱۹ و ۲۰)

لايدخل المعری فی تفاصيل الجحيم خلاف ما عمل فی الإكثار من وصف نعيم الجنة بل يكتفی فی وصف عذابها بصورة كلية «فيطّلع فيری إبليس –لعنه الله– وهو يضطرب فی الأغلال والسلاسل ومُقامعُ الحديد تأخذه من أيدی الزبانية.» (المعری، ۱۹۹۳م: ۳۰۹) أو فی موضع آخر يقول: «و يسأل عن المرقش الأكبر فإذا هو به فی أطباق العذاب.» (المصدرنفسه: ۳٥۹)

نهاية القصة

لانری نهاية حاسمة للقصة لأن العيش فی الجنة والتمتع بنعماتها ولذاتها لاتنتهی

www.SID.ir

وأهــل الجنة خالدون فيها ولهذا نرى البطل الرئيســى لايــزال يعيش هناک فى الرخاء والنعيــم كيف يصفه المعرى فى ختام قصته: «ويذكر – أذكــره الله بالصالحات– ما كان يلحق أخا الندام من فتور فى الجسد من المدام... ويتكئ على مَفرش من سُندس ويأمر الحور العين أن يحملن المفرش فَيضعنه على ســرير من سُــرر أهل الجنة وإنما هو زَبرجد أو عَســجد... فكلما مرّ بشــجرة نَضَخته أغصانها بماء الورد... وتُناديه الثمرات من كل أوب وهو مُستلق على الظهر: هل لک يا أبالحسن... وأهل الجنة يلقونه بأصناف التحية و(آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)، لايزال كذلک أبدا ســرمدا ناعما فى الوقت المتطاول مُنعّما لاتجد الغِيرُ فيه مَزعما.» (المعرى، ١٩٩٣م: ٣٧٩-٣٧٧)

البنية الفكرية والعقائدية

تعظيم أهل البيت (ع) والتوسل بشفاعتهم

من أهم ما نراه فى قصة الغفران من المعتقدات، قضية الشفاعة والتوسل بأهل البيت(ع) وهى عقيدة شيعية لعبت دورا مهما فى قصة الغفران، نرى اين القارح بعد فقده لصک توبته فى المحشــر يتوســل بحمزة (ع) ولكنه يرشــده إلى الإمام على (ع). ثم يتوسل ابن القارح بفاطمة الزهراء (س). يقول المعرى على لســان ابــن القارح كلمات تتصل اتصالا وثيقا بمعتقداتنا حول منزلة أهل البيت (ع) فى الدنيا والآخرة وقضية الشفاعة. «فقلتُ إنى كنتُ فى الدار الذاهبة إذا كتبتُ كتابا وفرغتُ منه قلتُ فى آخره: وصلى الله على ســيدنا خاتم النبيين وعلى عِترته الأخيار الطيبين وهذه حرمة لى و وسيلة. فقالوا ما نصنع بک؟ فقلتُ إن مولاتنا فاطمة –عليها السلام– قد دخلَت الجنة مُذ دهر وإنها تخرج فى كل حين مقداره أربع وعشرون ساعة من الدنيا الفانية فتُسلّم على أبيها وهو قائم لشهادة القضاء ثم تعود إلى مُستقرّها من الجنان فإذا هى خرجَت كالعادة فاسألوا فى أمرى بأجمعكم فلعلها تسأل أباها فى. فلمّا حان وقت خروجها ونادى الهاتف: أن غضّوا أبصاركم يا أهل الموقف حتى تعبر فاطمة بنت محمد (ص).» (المصدر نفسه: ٢٥٧)

ثم يصف مشــهد عبور فاطمة الزهراء (س) وأبناء الرسول (ص) بقوله: «اجتمع من آل أبى طالــب خلق كثير من ذكور وإناث مِمن لم يشــرب خمــرا ولا عَرف قَطّ مُنكرا ... وكان فيهم "على بن الحســين" وأبناه "محمد" و"زيد" وغيرهم من الأبرار الصالحين ومع

www.SID.ir

فاطمة علیها السلام امرأة أخری تجری مجراها فی الشرف والجلالة، فقیل من هذه؟ فقیل: "خدیجة ابنة خویلد بن اسد بن عبد العزی" ومعها شباب علی أفراس من نور فقیل من هولاء: فقیل "عبدالله" و "القاسم" و"الطیب" و "لطاهر" و"إبراهیم" بنو محمد (ص). فقالت تلک الجماعة التی سألتُ: هذا ولی من أولیاءنا قد صحّت توبتُه ولاریب أنه من أهل الجنة وقد توسّل بنا إلیکِ صلی الله علیکِ فی أن یراحَ من أهوال الموقف ویصیر إلی الجنّة فَیتعجّلَ الفوزَ. فقالت أخیها ابراهیم: دُونَک الرجل. فقال لی: تعلّق بِرکابی. وجعلت تلک الخیل تخلّل الناس وتنکشف لها الأمم والأجیال فلمّا عظُم الزحامُ طارت فی الهواء وأنا متعلّق بالرکاب فَوَقَفت عند محمد (ص).» (المصدر نفسه: ۲٦۰-۲۵۸)

فشفع له الرسول الأعظم (ص) وحان أن یعبر الصراط: «فلمّا خَلصتُ من تلک الطُموش، قیل لی: هذا الصراط فاعبُر علیه، فوجدتُه خالیا لاعَریبَ عنده فَبلَوتُ نَفسی فی العبور فوجدتُنی لا أستَمسک. فقالت "الزهراء" صلی الله علیها لجاریة من جواریها: یا فلانة أجیزیه، فجعلَت تُمارِسنی وأنا أتساقط عن یمین وشمال.... فتَحمِلُنی وتجوز کالبرق الخاطف. فلما جُزتُ قالت "الزهراء" علیها السلام: قد وهبنا لک هذه الجاریة فَخُذها کی تَخدُمک فی الجنان.» فلما صرت إلی باب الجنة قال لی رضوان: هل معک من جواز؟ فقلت لا. فقال لاسبیل لک إلی الدخول إلا به. فَبعلتُ بالأمر وعلی باب الجنة من داخل شجرة صفصاف، فقلتُ أعطنی ورقة من هذه الصفصافة حتی أرجع إلی الموقف فآخذ علیه جوازا. فقال لاأخرج شیئا من الجنة إلا بإذنٍ من العَلی الأعلی تقدس وتبارک... والتفت "إبراهیم" صلی الله علیه فرآنی وقد تخلّفتُ عنه فرجع إلی فجَذبَنی جَذبة حَصّلنی بها فی الجنّة، وکان مُقامی فی المَوقف مُدةَ ستة أشهر مِن شهور العاجلة.» (المصدر نفسه: ۲٦۱ و۲٦۲)

وفی موضع آخر نری این القارح یتکلم مع تمیم بن اُبَی فی الجنة ویسأله عن کلمة فی شعره لکنه یشرح فی جوابه عن محاسبته حسابا شدیدا لأنه کان من خصوم الإمام علی(ع): «فیقول تمیم والله ما دخلتُ من باب الفِردَوس ومعی کلمة من الشعر ولا الرجز وذلک أنی حُوسِبتُ حسابا شدیدا وقیل لی: کنتَ فیمن قاتَلَ علی بن أبی طالب (ع) وانبری لی النجاشی الحارثی فما أفلَتَ مِن اللَهب حتی سَفَعَنی سفعات...» (المصدر نفسه: ۲٤۷)

www.SID.ir

السخرية من صناعة الأدب والتكسب بالشعر

ومن الطريف فى رسالة الغفران سخرية أبى العلاء من صناعة الأدب وما كان يفعل الأدباء من التقرب بالشعر من الملوک وتكسبهم به. فعلى سبيل المثال عندما يحاول ابن القارح أن يستعطف "رضوان" وينشد له قصائده، يسأله "رضوان" متعجبا حول هذا الكلام العجيب؟«فقال: وما الأشعار فإنى لم أسمع بهذه الكلمة قط إلا الساعة. فقلتُ الأشعار جمع شعر، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس وكان أهل العاجلة يتقربون به إلى الملوک والسادات فجئتُ بشئ منه إليک لعلک تأذن لى بالدخول إلى الجنة.» (المصدر نفسه: ۲۵۰ و۲۵۱) وفى موقف آخر نرى "زُفَر" يسخر من صناعة الشعر عند العرب ويعتبره من تعاليم الشيطان! «فقلتُ: رحمک الله كنا فى الدار الذاهبة نتقرّب إلى الرئيس والملِک بالبَيتين أو الثلاثة فنجد عنده ما نحب...فقال: ...وأحسب هذا الذى تجيئنى به قرآن إبليس المارد ولاينفُقُ على الملائكة إنما هو لِلجانّ وعَلّموه ولد آدم ... فمِن أى الأمم أنت؟ فقلتُ من أمة "محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب" فقال: صدقتَ، ذلک نبى العرب ومِن تلک الجهة أتيتَنى بالقريض لأن إبليس اللعين نفَثَه فى إقليم العرب فتعلّمَه نساء ورجال.» (المصدر نفسه: ۲۵۱ و۲۵۲) وفى موضع آخر عندما يتكلم ابن القارح مع إبليس ويسأله إبليس عن مهنته: «كانت صناعتى الأدب أتقرب به إلى الملوک فيقول: بئس الصناعة إنها تَهَبُ غُفّةً من العيش لايتّسعُ بها العيالُ وإنها لمزلّة بالقَدَم وكم أهلَكَت مِثلَک فهَنيئاً لک إذ نَجوتَ.» (المصدر نفسه: ۳۰۹)

وفى موضع آخر يبدى ابن القارح عن أسفه وندمه من صناعة الأدب عندما يعزم على اكتتاب أشعار الجن ثم يندم بسرعة «فَيهّم الشيخ... بأن يكتتب منه ثم يقول: لقد شقيتُ فى الدار العاجلة بجمع الأدب ولم أحظ منه بطائل وإنما كنتُ أتقرب به إلى الرؤساء فاحتلب منهم درّ بكىءٍ وأجهد أخلاف مصُور ولستُ بموفّق إن تركتُ لذات الجنة وأقبلتُ أنتسخ آداب الجن.» (المصدر نفسه: ۲۹۲ و۲۹۳) ولاعجب من هذا الموقف ونعلم أن المعرى كان منعزلا عن الناس والبلاطات والملوک بمدة تسع وأربعين سنة. فيضحک من الشعراء الذين يجعلون أدبهم فى خدمة الدنيا وملوكها ويؤكد على أن صناعتهم لاتنفعهم فى الآخرة ومن جهة أخرى يمدح الشعراء الذين استخدموا أدبهم فى

Archive of SID

www.SID.ir

سبیل الدین والعقیدة.

ومن الطریف فی رسالة الغفران موقف أبی العلاء من الرجز و شعرائه حیث جعل قصورهم فی الجنة أقل شأنا من قصور الشعراء الآخرین لأن الرجز فی رأیه أقل شأنا ومکانة «و یمرّ بأبیات لیس لها سُمُوق أبیات الجنة فیسأل عنه فیقال: هذه جنة أهل الرجز یکون فیها "أغلبُ بن بنی عِجل"، "العَجّاج"، "رُؤبة"،"أبوالنجم"، "حُمَید الأرقط"، "عُذافِر بن أوس"، "أبونُخَیلة" وکل من غُفر له مِن تبارک العزیز الوهّاب. لقد صَدق الحدیثُ المروی «إن الله یحبّ مَعالی الأمور ویکرهُ سَفسَافها» وإنّ الرجز لَمِن سَفساف القَریض، قَصّرتُم أیها النفَر فقُصِّر بکم.» (المصدر نفسه: ۳۷۵-۳۷۳)

النتیجة

بما أن رسالة الغفران لیست القصة بالمعنی الذی نفهمه الیوم ولکنها تتمتع بمیزات قصصیة جدیرة بالاهتمام ودرسناها الطابع القصصی فیها عبر بنیتین: البنیة القصصیة والبنیة الفکریة والعقائدیة. فالبنیة القصصیة فی رسالة الغفران تتکون من أکثر أجزاء القصة کالسرد والحدث والبطل والحبکة والزمان والمکان. ونواجه السرد بنوعیها الداخلی والخارجی فی رسالة الغفران؛ حیث السارد الداخلی ظهر فی شخصیة ابن القارح مما جعل ضمیر المتکلم أو الغائب یظهر کثیرا علی لسانه والسارد الخارجی یمثله أبوالعلاء وأنه یتولی عملیة الشرح والوصف. نری أکثر أجزاء الحبکة کالعقدة والصراع والتعلیق والأزمة والحل. تنقسم الشخصیات إلی ثلاثة أقسام: الشخصیات الإنسانیة وهم أهل البیت (ع) عدد الشعراء الجاهلیین والمخضرمین واللغوین والنحاة من القرون الأولی الهجریة. علاوة علی الشخصیات الإنسانیة نواجه شعراء الجن وبعض الحیوانات فی الجنة.

تتمحور البنیة الفکریة والعقائدیة حول محورین أصلیین: شفاعة أهل البیت (ع) والتوسل بهم للتخلص من أهوال المحشر حیث یصور المعری مکانة الإمام علی (ع) وفاطمة الزهراء (س) تصویرا یوافق معتقدات الشیعة حول شفاعة أهل البیت (ع) ویبدو أن مردّ الطعن بمعتقدات أبی العلاء یرجع إلی هذا إلی حدما. والمحور الثانی السخریة من صناعة الشعر والأدب التی لاتنفع فی الآخرة إلا إذا کانت فی سبیل الله.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

ايرانی، ناصر. (١٣٦٤ش). داستان: تعاريف، ابزار و عناصر. ط١. تهران: كانون پرورش فكری كودكان ونوجوانان.

بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن. (١٩٨٣م). جديد فی رسالة الغفران. بيروت: دار الكتاب العربی.

بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن. (١٩٦٥م). «رسالة الغفران». تراث الإنسانية. المجلد الثانی، العدد ٦. صص ٤٣٥-٤٢١.

بهشتی، الهه. (١٣٧٦ش). عوامل داستان. ط٢. تهران: انتشارات برگ.

پراين، لارنس. (١٣٦٨ش). تأملی ديگر در باب داستان. محسن سليمانی. ط٤. تهران: حوزه هنری سازمان تبليغات اسلامی.

جمعة، حسن. (١٤٣٤ق). «أدب الخيال فی رسالة الغفران». التراث العربی. العدد ٩٠. صص ٤١-١١.

الروبی، ألفت كمال. (١٩٩٤م). «تحول الرسالة و بزوغ شكل قصصی فی رسالة الغفران». الفصول. العدد٥١. صص ٩٣-٧٢.

العجمی، مرسل فالح. (١٩٩٧م). «بطولة ابن القارح فی رسالة الغفران». حوليات كلية الآداب. جامعة الكويت. الحولية السابعة عشرة. صص ٨١-١١.

غنيمی هلال، محمد. (١٩٧٩م). النقد الأدبی الحديث. بيروت: دارالثقافة ودار العودة.

فرزاد، عبدالحسين. (١٣٨١ش). درباره نقد ادبی. ط٤. تهران: قطره.

المعری، أبوالعلاء. (١٩٩٣م). رسالة الغفران. تحقيق وشرح عائشة عبدالرحمن. ط ٩. القاهرة: دارالمعارف.

محبك، أحمد زيات. (١٤٢٠ق). «تجليات المكان فی رسالة الغفران». التراث العربی. العدد ٧٨. صص ٢٩-١٧.

ميرصادقی، جمال. (١٣٨٠ش). عناصر داستان. ط٤. تهران: انتشارات سخن.

يوسف، نجم. (١٩٧٩م). فن القصة. ط٧. بيروت: دارالثقافة.

يونسی، إبراهيم. (١٣٧٩ش). هنر داستان نويسی. ط٦. تهران: انتشارات نگاه.

Archive of SID

www.SID.ir